اجتهادات
مشاعرُ قاتلِ جيفارا!

لم يُعرف نبأ مقتل أيقونة زمنه تشى جيفارا على نطاقٍ واسعٍ إلا بعد أيام. كان انتقالُ الأنباء بين أنحاء العالم بطيئًا عام 1967، الذى يبدو الآن بعيدًا جدًا، رغم أن ما يفصلُنا عنه زمنيًا لا يتجاوزُ نصف قرنٍ إلا بقليل. وكان الراديو وسيلة الاتصال الأساسية، ولهذا كان مطلعُ أغنيةً نجم والشيخ إمام عنه: (جيفارا مات/ آخر خبر/ فى الراديوهات ..). وفى منطقتنا، حيث بلغت شعبيةُ جيفارا الذروة بعد أن زار مصر مرتين والتقى الرئيس الراحل عبد الناصر فى 1959 و1965، لم يكن قد مضى أربعة أشهر على صدمة 1967 حتى فُجع من كانوا يتابعون جيفارا لمقتله. وعندما نُشر خبر وفاة قاتله الجندى البوليفى ماريو سالازار قبل أيام، كان أول ما تبادر إلى ذهنى سؤالُ عما شعر به حين أطلق الرصاص على رجلٍ سعى إلى تحرير الفقراء بالطريقة التى آمن بها، وماذا كان إحساسُه وهو يقتلُ رجلاً مصابًا تنفيذًا لأمرٍ تلقاه، وليس لحكمٍ قضائى؟ لدينا رواياتُ مختلفةُ عن حالة ذلك الجندى فى لحظةٍ يفترضُ أن تكون صعبةً بالنسبة إلى أى كائن بشرى لديه شىء من المشاعر. يبدأُ الاختلافُ بشأن ما إذا كان سالازار اختير لتلك المهمة، أم تطوعَ لها، ثم يتسعُ ليشمل تفاصيل كثيرة. تبدو الروايةُ المنسوبةُ إلى سالازار أجدرَ بالتصديق، بافتراض صحتها إذ لا يوجدُ دليلُ قاطعُ عليها. نستنتجُ منها أنه كان مأمورًا بأداء مهمةٍ وجدها شاقةً فعلاً. وصف لحظة تنفيذها بأنها الأسوأ فى حياته، إذ شعر بالضآلة عندما نظر إليه جيفارا فى عينيه، وحثه على أن يحتفظَ بهدوئه ويُصوَّب جيدًا، (فأغمضتُ عينى وأطلقتُ النار) وفق ما نُسب إليه. تُعبر هذه الروايةُ عن قوة جيفارا وعدم خوفه من الموت. قال لعبد الناصر فى القاهرة عام 1965 إن نقطة التحول فى حياة الإنسان تحدثُ فى اللحظة التى يقررُ فيها أن يواجهَ الموت، وفقًا للأستاذ هيكل فى كتابه (عبدالناصر والعالم). وكان هذا قراره حين ترك منصبًا وزاريًا فى كوبا, وذهب ليكمل رسالةً آمن بها0 سلامُ لروحه حيث هو الآن.